

# تحدي التنوع

التجربة الفدرالية

## The Challenge of Diversity

The federal experience



منتدى الاتحادات الفدرالية  
شبكة عالمية حول الفدرالية

**Forum of Federations**  
An International Network on Federalism

# تحدي التنوع

## التجربة الفدرالية

منتدى الاتحادات الفدرالية  
شبكة عالمية حول الفدرالية



[www.forumfed.org](http://www.forumfed.org)

يصور هذا الفيلم كيف تعاطت خمس دول مع خصائصها الإثنية واللغوية المتنوعة عبر أنظمتها الفدرالية:

.الهند . سويسرا . بلجيكا  
.إسبانيا . كندا

يبرز الكثير من أوجه الاختلاف بين هذه الدول الفدرالية:

- يفوق عدد سكان الهند مليار نسمة، بينما يبلغ عدد سكان سويسرا سبعة ملايين نسمة.
- على غرار دول أميركية أخرى، تقطن الجزء الأكبر من كندا شعوباً قديم جدودها، مستعمرين كانوا أم مهاجرين، من مناطق أخرى من العالم.
- يقطن كندا أيضاً عدد كبير من السكان الأصليين الذين لم يعترف نظامها الفدرالي بعد بكامل حقوقهم.
- تبنت سويسرا الدستور الفدرالي منذ منتصف القرن التاسع عشر.
- أما بلجيكا وإسبانيا فلم تتبنيا النظام الفدرالي الخاص بهما إلا في أواخر القرن العشرين، لا بل إن إسبانيا لم تصف نظامها السياسي "بالفدرالي"، رغم أن الحكم المتعدد المستويات الذي تمارسه يشكل، بطبيعته، نظاماً فدرالياً.

نظراً لأهمية أوجه الاختلاف هذه، يصف هذا الشريط المصور جملة من الأنظمة الفدرالية، أو شبه الفدرالية المتنوعة، التي جاءت كرد على الحاجة الملحة للتوفيق بين مجموعتين أو أكثر، متباينتين لغوياً، أو إثنية، أو دينياً، أو ثقافياً، وإنما تعيشان في دولة واحدة.

لعل الباحثين في النظام الفدرالي، أو المنقبين عن نماذج وأمثلة تساعد في توجيه المساعي المبذولة نحو إنشاء بنى سياسية مستحدثة، سيجدون ما يثير اهتمامهم في سائر الحالات.

مثلاً:

- تبين تجربة سويسرا كيف تتمكن أربع جماعات متباينة لغوياً من تقاسم دولة واحدة، في حين أن التقسيمات الإقليمية تفوق المجموعات اللغوية - إذ تضم ٢٦ وحدة إقليمية أساسية (تُعرف بالكانتونات).
- تظهر تجربة الهند كيف تمكنت إحدى المجتمعات الآسيوية المعقدة، والواسعة الانتشار من تكييف المفاهيم الفدرالية مع وضعها الخاص، وكيف خرجت من تحت جناح النظام الاستعماري البريطاني لتتحول إلى دولة فدرالية ديمقراطية.
- تبين تجربة إسبانيا كيف يتسنى لبنية سياسية متعدّدة المستويات، تقرر بوجود عدّة جماعات محلية متميزة ضمن الدولة الواحدة، أن تنهض من تحت أنقاض ديكتاتورية مارست عليها القمع لفترة طويلة. كما أنها تبين كيف يجوز وضع دستور كفيلاً بإيجاد عدّة ترتيبات لتقاسم السلطة بين الحكومات الإقليمية والحكومة الاتحادية - عوض "تطبيق مقياس واحد للجميع".
- تبرز تجربة بلجيكا كيف تنجح الشعوب في إيجاد حلول إبداعية ومبتكرة، كردّ على ظروف معينة يعيشونها. ويتلخص أحد الحلول التي ابتدعتها بلجيكا بإنشاء حكومات "للتجمعات السكانية" تتعدّى صلاحياتها إطار الإقليم الواحد.
- على غرار تلك الدول، تظهر كندا كيف يضمن دستور ما حقوق الأقلية في استعمال لغتها في كل أرجاء البلاد، فيما يتيح للمناطق بالمحافظة على الخصائص التي تميّزها.

لا يدعي هذا الشريط المصوّر الإحاطة بكل ما يتعلّق بالفدرالية، نظراً إلى اتّساع هذا الموضوع وتشعبه. إلا أن المنتدى يأمل أن يثير هذا الشريط، الذي يدوم أربعين دقيقة، النقاش حول هذه المسألة، وأن يدعو إلى إجراء المزيد من البحث بهذا الشأن.

لعلّ مشاهدي الشريط المصوّر ومن يستعرضونه مع بعض المجموعات، يحسنون فعلاً إن عادوا إلى مراجع أخرى تتحدّث عن هذا الموضوع. ولا بدّ من الإشارة، في هذا الإطار، إلى أن منتدى الاتحادات الفدرالية يوفر كمّاً هائلاً من المواد في مكتبته الإلكترونية، على شكل معلومات قابلة للتحميل. للحصول عليها، ما عليك سوى

زيارة الموقع [www.forumfed.org](http://www.forumfed.org)

ومع أن هذا الشريط المصوّر يشرح بعض المبادئ الأساسية المتعلقة بالفدرالية، فهو لا يسعى إلى التعريف بها. من هذا المنطلق، قد تودّ بعض المجموعات التمعّن في مفهوم الفدرالية والتباحث حوله، بشكل عامّ، قبل عرض الشريط المصوّر.

لتسهيل هذه العملية، تشكل الخطوط العريضة التي اتفق عليها الخبراء بعضاً من المقومات الأساسية للفدرالية، الواردة في ما يلي (مع الإشارة إلى أن قائمة هذه الميزات قد تم اقتباسها من مقالة بعنوان: "الفدرالية كوسيلة لحل النزاعات الإثنائية"، أعدها كل من جون ماكغاري وبراندن أوليري، ونشراها على الموقع الإلكتروني العائد لمنتدى الاتحادات الفدرالية، [www.forumfed.org](http://www.forumfed.org)):

**السيادة المجزأة:** في بلدٍ فدراليٍّ ديمقراطيٍّ متّصل (غالباً ما يُشار إليه أيضاً بالاتحاد الفدراليّ)، تقوم دولة ذات سيادة تتكوّن على الأقلّ من وحدتين حكوميتين، الاتحادية والإقليمية، تُسند إليهما دستورياً صلاحيّات مستقلة مع أنّهما قد تتمتعان أيضاً بسلطاتٍ متداخلة.

**مشاركة المواطنين المباشرة:** يحقّ لكلا الحكومتين، الاتحادية والإقليمية، بالتّعاطي مباشرةً مع مواطنيهما. وفي المقابل، يحقّ لمواطني الوحدات الإقليمية بأن ينتخبوا مباشرةً (على الأقلّ، بعض مكونات) الحكومتين الاتحادية والإقليمية.

**فصل السلطات وفقاً للدستور:** على صعيد الاتحاد الفدراليّ، لا يحقّ للحكومة الاتحادية، عادةً، أن تفرّد بتعديل مبدأ فصل السلطات، لأنّ تعديل الدستور على هذا النحو يستلزم الحصول على موافقة الحكومة، بشقيها. من هنا حاجة الاتحاد الفدراليّ إلى دستور مقنّن أو مكتوب، يستتبعه إجمالاً قيام محكمة عليا أو محكمة دستورية، مهمتها الفصل في الخلافات الناشئة بين مختلف الكيانات الحكومية. ويستتبعه كذلك إنشاء هيئة تشريعية ذي مجلسين، يحقّ فيها للمجلس "الاتحادي" (المُشار إليه غالباً بمجلس الشيوخ)، وعلى عكس مجلس الشعب، بتمثيل المناطق الأصغر، تمثيلاً غير متوازٍ.

**تتكوّن الدولة الفدرالية بموجب ميثاق، واتفاق متبادل:** لا بدّ من التّشديد على أنّ كلّ حكومة تستمدّ سلطتها من الدستور والميثاق، عوض عن أن تستمدّها من حكومةٍ أخرى.

عند مشاهدة الشريط المصوّر، قد يرغب مختلف الأفراد، والطبقات، والمجموعات أن يكتشفوا إلى أيّ مدى تعكس كلّ دولة من الدول المذكورة هذه الميزات الأساسية التي يتّصف بها النظام الفدراليّ. فلا يجوز قياس فعالية أيّ اتحاد فدراليّ بمدى تطابقه مع بعض القواعد المذكورة في أحد الكتب المدرسية، بل قد يجديك نفعاً أن تعاین كيف تنجح بعض الأنظمة الفدرالية المتباينة، في الخلوص إلى نتائج مماثلة، والإقرار بمبادئ متشابهة، بطرق مختلفة.

## بعض الأسئلة المقترحة طرحها على بساط البحث

قد تودّ بعض المجموعات مناقشة عدّة أسئلة على ضوء الشريط المصوّر المعروض والأخبار التي يسردها. وفي هذا الإطار، نقترح طرح الأسئلة التالية:

١. كيف ارتأت الهند أن تتعاطى مع واقع دولة تضمّ مجموعاتٍ شديدة التمايز لغويّاً وإثنيّاً ودينيّاً؟
٢. كيف تطوّر النظام الفدراليّ في الهند منذ العام ١٩٤٧؟
٣. ما هي المسؤوليات المسندة إلى الكانتونات السويسريّة عامّة؟
٤. ما هي الكانتونات المدمجة في الحكومة الفدراليّة السويسريّة؟
٥. ما هي أوجه الاختلاف بين الحكومات البلجيكيّة المشتركة والحكومات البلجيكيّة الإقليميّة؟
٦. لماذا قرّر البلجيكيون إنشاء هذين النظامين الحكوميين، إلى جانب الحكومة الاتحاديّة؟
٧. ما المقصود بقول الإسبان إنّ نظامهم الفدراليّ "غير مبنيّ على مفهوم التناسق" - وما الذي يدعوهم إلى الاعتقاد بأن هذا النظام يوافق وضعهم أكثر من سواه؟
٨. كيف تغيّر وضع جماعة الباسك، والكاتالونيين، والمجموعات التي تشكّل أقلية في إسبانيا منذ وفاة فرانكو في العام ١٩٧٥؟
٩. كيف عملت كندا/ على الإقرار بحقوق أهمّ مجموعتين لغويتين لديها، الفرنسيّة والإنكليزيّة، وعلى احترامهما.
١٠. كيف تطوّر موقع سكّان كندا/ الأصليين في بنيتها الفدراليّة؟
١١. ما العبرّ المجدية المحتمل أن تستخلصها الدّول السّاعية إلى إنشاء شكلٍ من أشكال البنية الفدراليّة الخاصة بها، من تجارب هذه الدّول الفدراليّة الخمس؟
١٢. ما التحدّيات التي قد تواجهها الكثير من الدّول والشّعوب، وإنّما لم تطرحها التّجارب التي مرّت بها الدّول الخمس المذكورة، حسبما وُصفت؟



## منتدى الاتحادات الفدرالية

شبكة عالمية حول الفدرالية

Forum Of Federations

An international Network on Federalism

007-523 Dalhousie,  
Ottawa, Ontario, Canada  
K1N 7G2

tel: (613) 244-3360

fax: (613) 244-3372

٠٠٧-٥٢٣ دالهوسي،

أوتاوا، اونتاريو، كندا

K1N 7G2

هاتف: (٦١٣) ٢٤٤ ٣٣٦٠

فاكس: (٦١٣) ٢٤٤ ٣٣٧٢

[www.forumfed.org](http://www.forumfed.org)



National Democratic Institute

for International Affairs

2030 M Street, 5th Floor, NW  
Washington, DC 20036-3306

tel: +1 (202) 728-5500

fax: +1 (202) 728-5520

[www.ndi.org](http://www.ndi.org)

ترجمة ناتالي سليمان، المعهد الديمقراطي الوطني للشؤون

الدولية، بيروت-لبنان. ٢٠٠٥